جامعة عبد الرحمن ميرة- بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

محاضرات البلاغة العربية

السنة الأولى ليسانس، المجموعة الرابعة

السداسي الأول

إعداد الأستاذ: سفيان زبيشة

السنة الجامعية: 2021-2022

الفصاحة والبلاغة

1- **الفصاحة: لغة واصطلاحا:** يطلق مصطلح الفصاحة في اللغة على عدة معانٍ، منها: البيان والظهور، مثل قول الله تعالى: « وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا»، أي أبين منِّي منطقًا، وأظهر مني قولًا. ويقال: أفصح الصبي في منطقه: إذا بان وظهر كلامه. ويقال: أفصح الصبح: إذا أضاء. وفصح اللسان: إذا عبَّر عمَّا في نفسه، وأظهره على وجه الصواب دون لحن أو خطأ. أما الفصاحة في اصطلاح البلاغيين فهي: الألفاظ البيِّنة الظاهرة، المتبادَرة إلى الفهم، والمألوفة الاستعمال بين المتكلمين لمكان حُسنها.

وتقع الفصاحة وصفًا للكلمة، والكلام، والمتكلِّم معا، أي حسب ورود اللفظة فإذا كانت مفردة قيل كلمة فصيحة، وإذا وردت في التركيب وصف الكلام بالفصاحة، كما يوصف المتكلم أيضا بالفصاحة.

أ- **فصاحة الكلمة:** حيث يشترط فيها أن تكون:

1- خالصة من تنافر الحروف، حيث أن التنافر يعيب فصاحة الكلمة، ويوجب ثِقلا على السمع وصعوبة في النطق باللسان، بسبب تقارب مخارج حروف الكلمة، وهو نوعان: - شديد في الثقل، مثل: الهُعْخُع (وهو نبات ترعاه الإبل) كقول الأعرابي: تركتُ نَاقتي ترْعَى الهُعْخُع.

- وخفيف في الثقل، مثل: مستشزرات (بمعنى مرتفعات) من قول امرئ القيس يصف شَعر ابنة عمِّه:

غدائرهُ مُسْتشْزِراتٌ إلى العلا تَضِل العقاصَ في مُثنًّى ومُرْسَل

وخلو الكلمة من هذا العيب يجعلها رقيقة عذبة، خفيفة على اللسان، ولا تَثْقُل على السمع، فلفظ «أسد» أخف وأفصح من لفظ فَدَوْكَسٍ.

2- الخلوص من الغرابة، بحيث تكون مألوفة الاستعمال غير وحشية، لأن غرابة الاستعمال تجعل الكلمة غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفصحاء. مثل: تكأكأتُم «بمعنى اجتمعتم» في قول عيسى بن عمرو النحوي: ما لكم تَكأكَأتُم عليَّ كَتكأكُئِكُم على ذي جنَّة، افرنقعوا عني.

3 - أن لا تخالف الكلمة القياس الصرفي، حتى لا تكون شاذة، وغير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب، بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن العُرف العربي الصحيح، مثل: «الأجْلَل» في قول أبي النَّجْم:

الحمدُ للهِ العَليِّ الأجْلَلِ الواحدِ الفَرْدِ القَدِيم الأوَّلِ

فإن القياس «الأجَلَّ» بالإدغام، ولا مسَوّغ لفكهِ.

4 - أن لا تكون ثقيلة على السمع، تؤدي إلى الكراهة في السمع، نتيجة استعمال كلمة وحشية، تمجها الأسماع، وتنبو عنها كما تنبو عن سماع الأصوات المنكرة «كالجِرِشَّى» للنفْس في قول أبي الطيب المُتنبيّ يمدح سيف الدَّولة:

مُبَارَكُ الاسْم أغرُّاللقبْ كَريمُ الجِرِشَّى شريفُ النسَبْ

ب- **فصاحة الكلام:** ويقصد بها سلامة الكلام بعد فصاحة مفرداته مما قد يُبْهِمُ معناه، ويحول دون فهم معناه، تتحقق فصاحته بخلوه من ستة عيوب هي: تنافر الكلمات مجتمعة، ضعف التأليف، التعقيد اللفظي، التعقيد المعنوي، كثرة التكرار، وتتابع الإضافات.

1- **تنافر الكلمات مجتمعة:** أن تكون الكلمات ثقيلة على السمع جراء تركيبها مع بعضها، عسيرة النطق بها مجتمعة على اللسان، حتى وإن كانت كل كلمة في التركيب فصيحة في انفرادها. مثل قول الشاعر:

وقَبْرحرب بمكان قَفْر وليس قُرْبَ قَبْرِحَرْب قَبْرُ

2- ضعف التأليف: هو أن يكون الكلام جاريًا على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المتعارفة عند جمهور العلماء كقول المتنبي:

خَلَت البلادُ من الغزالة ليلَها فأعاضَهاك الله كي لا تحزنا

3- التعقيد اللفظي: هو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به، بحيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني، فينشأ التعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض، وهو مذموم؛ لأنه يوجب اختلال المعنى واضطرابه، من وضع ألفاظه في غير المواضع اللائقة بها؛ كقول المتنبي:

جفَخَتْ وهم لا يَجْفَخُون بهابهم شِيَم على الحسَب الأغرّدلائل

أصله: جفخت «افتخرت» بهم شيم دلائل على الحسب الأغر، وهم لا يجفخون بها.

4- التعقيد المعنوي: يقع حين يكون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد، بحيث لا يُفهم معناه إلا بعد عناء وتفكير طويل. وذلك لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة، المفتقرة إلى وسائط كثيرة، مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود، بأن يكون فهم المعنى الثاني من الأول بعيدًا عن الفهم عُرفًا كما في قول عباس بن الأحنف:

سأطلب بُعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لِتَجمُدا

جعل سكب الدموع كناية عما يلزم في فراق الأحبة من الحزن، فأحسن في ذلك، ولكنه أخطأ في جعل جمود العين كناية عما يوجبه التلاقي من الفرح والسرور بقرب أحبته، وهو خفي وبعيد، إذ لم يُعرف في كلام العرب عند الدعاء لشخص بالسرور «أن يقال له: جَمُدت عينك» أو: لا زالت عينك جامدة، بل المعروف عندهم أن جمود العين إنما يُكنى به عن عدم البكاء حالة الحزن، كما في قول الخنساء:

أعينيَّ جودًا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

5- كثرة التكرار: ويقع من خلال تكرار اللفظ الواحد اسمًا كان أو فعلًا أو حرفًا. سواء أكان الاسم ظاهرًا أو ضميرًا تعدد مرَّة بعد أخرى بغير فائدة، كقوله:

إني وأسطارٍ سُطرنَ سطرًا لقائلٌ يا نصرُ نصرٌ نصرا

وكقول المتنبي:

أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أعِد زِدْ هِشَّ بشَّ تفضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِل

6- **تتابع الإضافات:** كون الاسم مضافًا إضافة متداخلة غالبًا، كقول ابن بابك:

حَمَامَةَ جَرْعَا حَوْمَةِ الْجَنْدَلِ اسْجَعِي فأنتِ بمرأى مِن سُعاد ومَسْمَع

ج- **فصاحة المتكلم:** وهي الملكة التي يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أي غرض كان، فيكون قادرًا بصفة الفصاحة الثابتة في نفسه على صياغة الكلام، متمكنًا من التصرف في ضروبه، بصيرًا بالخوض في جهاته ومناحيه.

2- **البلاغة:** البلاغة لغة هي: «الوصول والانتهاء» يقال: بلغ فلان مراده إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها، ومبلغ الشيء منتهاه. وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ إذا أحسن التعبير عمَّا في نفسه.

وتقع البلاغة في الاصطلاح وصفًا للكلام والمتكلم فقط. ولا توصف «الكلمة» بالبلاغة، لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه، ولعدم السماع بذلك.

أ- **بلاغة الكلام:** البلاغة في الكلام هي مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب، مع فصاحة ألفاظه إفرادا وتركيبا،

والكلام البليغ: هو الذي يصوِّره المتكلم بصورة تناسب أحوال المخاطبين. والمقصود بحال الخطاب هو المقام، وهو الأمر الذي يدفع المتكلم لأن يورد عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى. والمُقْتَضَى (ويُسمَّى الاعتبار المناسب) هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة.

مثلًا: في سياق المدح يتطلب الحال إيراد العبارة على صورة الإطناب. أما ذكاء المخاطب فيتطلب الحال إيرادها على صورة الإيجاز. فكل من المدح والذكاء «حال ومقام»، وكل من الإطناب والإيجاز «مقتضى«.

وملخص القول أن الأمر الذي يحمل المتكلم على إيراد كلامه في صورة دون أخرى يسمى «حالًا»، وإلقاء الكلام على هذه الصورة التي اقتضاها الحال يُسمى «مقتضى»، والبلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال.

2- بلاغة المتكلم: وهي مَلَكة في النفس يقتدرُ بها صاحبها على تأليف كلام بليغ، مطابق لمقتضى الحال، مع فصاحته في أي معنًى قصده. وتلك غاية لن يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خُبرًا، وعرف سنن تخاطبهم في منافراتهم، ومفاخراتهم، ومديحهم، وهجائهم، وشكرهم، واعتذارهم؛ ليلبس لكل حالة لبوسها فلكل مقام مقال.

وبالتالي فإن بلاغة المتكلم هو أن تجعل لكل مقام مقالًا، فيكون الايجاز في موضع الإيجاز، والاطناب حين يحسن الإطناب، وتؤكد في موضع التوكيد، وتقدم أو تؤخر إذا رأيت ذلك أنسب لقولك وأوفى بغرضك، وتخاطب الذكي بغير ما تخاطب به الغبي، وتجعل لكل حال ما يناسبها من القول، في عبارة فصيحة، ومعنًى مختار. وانطلاقا من هذا عَرَّفَ العلماء «البلاغة» بأنها: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة عباراته.

أما الفرق بين الفصاحة والبلاغة فهو أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، بينما البلاغة لا تكون إلا وصفًا للألفاظ مع المعاني، وأن الفصاحة تكون وصفًا للكلمة والكلام، والبلاغة لا تكون وصفًا للكلمة، بل تكون للكلام، وأن فصاحة الكلام شرط في بلاغته، فكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغًا، كالذي يقع فيه الإسهاب حين يجب الإيجاز.